بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة ميلاد الإمام القائم (عج) أحاول أن أذكر بعض الأمور التي أراها نافعة ومفيدة[1]، قبل الحديث أقرأ بعض الفقرات من دعاء يروى أن الإمام الرضا (ع) أمر يونس بن عبد الرحمن أن يدعو به لصاحب الأمر (عج):

(اللهم ادفع عن وليّك وخليفتك وحجتك على خلقك ولسانك المعبر عنك الناطق بحكمتك وعينك الناظرة بإذنك وشاهدك على عبادك المجاهد العائذ بك العابد عندك، وأعِذه من شر جميع ما خلقت وبرأت وأنشأت وصورت، ...، وجدّد به ما امتَحى من دينك وبُدِّل من حكمِك، حتى تُعيد دينك به وعلى يديه جديداً غضّا محضاً صحيحاً لا عِوج فيه ولا بدعة معه، ...، واجعلنا ممن تنتصر به لدينك، وتُعز به نصر وليّك ولا تستبدل بنا غيرنا، فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير وهو علينا كثير) [2]

في روايات كثيرة أن الإمام القائم (ع) حينما يظهر يأتي بطريقة جديدة، في بعض الروايات يأتي بأمر جديد ودين جديد هذا المعنى يتردد في كثير من الروايات، هنا يأتي سؤال: هل الإسلام يتغير؟ هل أنه (ع) يأتي بدين جديد؟ هل أن هذا الدين الذي بُعث له رسول الله (ص) يُنسخ؟ هل هكذا؟

الجواب: لا، لكن هو يحيي القرآن ويحيي سنة رسول الله (ص)، فحينما يأتي فالشريعة هي شريعة الإسلام، الدين الذي هو يقوم بنشره والعدل الذي هو يُقيمه هو العدل الذي بُعث لأجله رسول الله (ص) وهو العدل الذي بُعث لأجله الأنبياء (ع) كلهم، فشريعة رسول الله (ص) هي التي يقيمها الإمام (ع) ولكن في نظر الناس هذه الشريعة تبدو شريعةً جديدة كأنها ليست الإسلام الذي يكون متعارفا ومعروفا بين الناس، هذا هو معناه، أريد أن أوضح هذه النقطة

فكروا معي، لابد أن نغيّر نظرتنا لنعرف الحق ومؤشرات الحق، ثم نفوسنا سوف تنبض في هذا الاتجاه بعد أن عرفنا الحق ومؤشرات الحق ونرغب في الحق ونطلبه ونتمناه ونحلم به، ثم العمل الخارجي والعمل الخارجي ليس بيدنا بطبيعة الحال،

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري بهذا الحديث في مسجد البلوش يوم الجمعة بتاريخ ١٦ شعبان ١٤١٤ الموافق ١٩٩٤/١/٢٨، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

[2] بحار الأنوار (١٠٢/٩٥) نقلا عن مصباح الزائر

فالإنسان يستطيع أن يعرف يستطيع أن يرغب لكن لا يستطيع أن يعمل دائما وفق تلك الرغبة، فدعنا نفكر ونسعى في هذا الاتجاه

رسول الله (ص) حينما بُعث ماذا فعل؟ كان يُطبّق العدل كان يريد أن يقوم الناس بالقسط، شريعة رسول الله (ص) كان اتجاهها اتجاه تحرير الإنسان عن كل قيد وعن كل عبودية غير عبودية الله وحده، أن الإنسان يصبح بحيث لا يؤثر عليه غير ربه فقط، رضا ربه يُسِرّه وغضب ربه يؤذيه، فالإنسان لديه إمكانية النمو وإمكانية أن يصبح قويا بهذه الدرجة

بطبيعة الحال يجب أن تتوفر شروط، من الشروط الرئيسية: الولاية، أنا ذكرت هذه المسألة في أوقات مختلفة أنك حينما تجد دعما وسندا فتراجع نفسك حينها ستجد أن كثيرا من عوامل ضعفك انهارت وأصبحتَ قويا تختلف عن ذلك الإنسان الضعيف، هل جربت هذا أو لا؟ يد الله عز وجل -المتجسدة في رسول الله (ص) في أمير المؤمنين (ع) وفي الأئمة (ع) وفي الإمام القائم (عج)- إذا كانت فوق رأسك تشعر بقوة يكمُل عقلك قوتك تتطور تنمو تصبح كقوة أربعين رجلا في بعض الروايات وكقوة خمسين رجلا في بعض الروايات، فإذن هذه القوة كان المفروض أن تحصل، الإنسان ينمو

مقداد بن الأسود أحد أصحاب رسول الله (ص) كان يجسّد أقصى نقطة هابطة في ذلك المجتمع، لا نَسَب لا مال لا موقع اجتماعي لا مركز، وأبو جهل كان يُشار إليه بالبنان كان كبير بني مخزوم -بنو مخزوم فخذ عظيم من أفخاذ قريش- وكان يُراجَع للمشاورات المهمة كان يلقب بأبي الحكم، حسب المقاييس المتعارفة في ذلك الحين كان أبو جهل إماما، كان أسوة فكل الطرق في ذلك المجتمع كانت تنتهي إليه وطريقه كذلك كان ينتهي إلى كسرى وقيصر فالرغبات كانت تنصب في هذا الاتجاه

أحد أصحاب رسول الله (ص) كان يرعى الغنم ويعيش على رعي الغنم، في غزوة بدر يأتي ويجلس على صدر أبي جهل: من أنت؟ أنا فلان، فيقول له ارتقيت مرتقى عاليا يا رويعي الغنم[٣]. هذا بمنطقه يتكلم، يعني أي عالَم هذا؟ أنت تجلس على صدر أبي الحكم؟! فتغيّر الأمر أصبحت الإمامة لهم بدل أبي جهل فاتجاههم عظم وكبر ونما بحيث أن أبا جهل -بكل امتداداته الكافرة في ذلك العالم وجذوره- تحطَّم في نظرهم أصبح كالأنعام! أصبح رجسا أصبح نجسا يتعاملون معه كرجس، نموا بهذه الدرجة (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[٤]، الإنسان يهبط يهبط إلى أن (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)[٥]،

---

[٣] السيرة النبوية لابن هشام (٦٣٦/١)

[٤] التين:٤

[٥] التين:٥

فإذا الإنسان تحرر بدرجة أصبح قويا جدا فلا مال يخذله ولا مركز يبهره ولا أحد في هذا العالم، ذلك الإنسان الذي كان يكسر الصنم قد انكسر كذلك في نفسه كل جبروت في هذه الأرض غير جبروت الله وعظمة الله تبارك وتعالى والله أصبح أكبر في نفسه، هذا هو التحرّر

كان المفروض أن هذا الأمر يستمر ويستمر هذا الجيل النامي القوي الذي يعلم بأن الدنيا خُلقت له وسيلة ومتاعا لا تؤثر عليه -فهو مترب على هذا الطريق- وينمو تحت ظلال يد الله عز وجل المتجسدة في ولي الأمر بعد رسول الله (ص)، لكن حصل ما حصل رجع الناس قهقرى فالاتجاه اتجاه التحرير، إمامة تحرير الإنسان عن أية عبودية عن أي ضعف عن أي انبهار عن أي اهتمام غير الله تعالى وحده، الإنسان الذي حياته يجب أن يجسدها مسجده (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)[٦]، هذه إمامة هذا خط هذا اتجاه، في حياتك لا تدعو مع الله أحدا، ذلك الإنسان الذي صنع لك شيئا لذيذا ومريحا ووسائل الدنيا تدعو إليه وتحثك وتشدك إليه يجب أن لا يؤثر عليك، لا تدعو مع الله أحدا، الله أكبر، هكذا كان المفروض يصبح الإنسان، الإنسان الخليفة في الأرض الإنسان الشهيد الشاهد (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ)[٧]

أنت حينما تقرأ -وإذا ما قرأت الآن اقرأ، فرّغ نفسك لذلك- بعض مقاطيع من حياة أصحاب رسول الله (ص) وعلى الرغم من محاولات جادة لتشويه هذه الفترة، مثلا يُنقل عن أحد أصحاب رسول الله (ص) أنه يقول: (وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته، وما أدري ما هو حتى الآن)[٨] بهذا المستوى من الجوع! تتعجب كيف هذا الإنسان الجائع الحافي الإنسان الذي لا يملك أي شيء في هذه الدنيا كان يقاتل في سبيل المستضعفين ولئلا تكون فتنة، ألا تتعجب أي نموٍّ هذا؟ أي كِبَر هذا؟ بكبر الله الإنسان يصل إلى هذه الدرجة. ثم الوضع رجع قهقرى، تلك الأشياء التي كانت تؤثر على الإنسان الجاهلي على الإنسان المسلم قبل أن يسلم قبل أن يُبعث رسول الله (ص) بدأت تؤثر عليه وباسم الدين كانوا يروجونها، كثيرون من الناس كانوا يروّجون هذا الشيء

بعد وفاة رسول الله (ص) بخمسة وعشرون سنة حين تولى أمير المؤمنين (ع) الخلافة، اقرأوا (وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت)[٩] الناس تغيّروا، الصلاة موجودة الصيام موجود الجهاد موجود الفتوحات مستمرة في شرق العالم وغربه

---

[٦] الجن: ١٨

[٧] البقرة: ١٤٣

[٨] كتاب الروض الأنف (٣/٣٥٤)

[٩] نهج البلاغة (الخطبة ٩١)

لكن ماذا تغيّر؟ تغيّر الدين الذي كان يحرّر الإنسان فيربطه بالله تبارك وتعالى فقط، ذلك الإنسان هبط أصبح كأي إنسان آخر فقط يصلي، فالصلاة وغيرها من الأعمال لا تعطيه الشعور بأنه هو خليفة الله في الأرض ومسؤول عن كل شيء في هذا العالم

حينما تولى أمير المؤمنين (ع) الأمر يُنقل أنه قال: (ألا وإن بليّتكم قد عادت كهيأتها يوم بعث رسول الله (ص))[10] كأن العهد عهد جاهلي من جديد، عبادة الصنم غير موجودة لكن الاتجاه اتجاه جاهلي اتجاه عبودية الدنيا وتزيين الدنيا والارتباط بالدنيا والبروز في هذه الدنيا وطرح مقاييس دنيوية، عادت كما هي في الجاهلية قبل تلك الفترة التي بعث فيها رسول الله (ص)

أمير المؤمنين (ع) هكذا فعل، عمل جديد طرح جديد دين جديد، فحورِب، لم تكن الحرب فقط في صفين والجمل والنهروان، كانت حربا أشد من ذلك حيث كانوا يعلنون ويصرّحون أنه يكذب على رسول الله (ص) وأن هذا الدين لم يُبعث به رسول الله (ص)! أتعلمون هذا الشيء أو لا؟ لكن مع ذلك استطاع (ع) أن يُزيل بعض الغبار عن هذا الدين العظيم الذي بُعث لأجله قوافل الأنبياء واستُشهدوا لأن يقوم الناس بالقسط

أمير المؤمنين (ع) كان يعاني، ملأوا قلبه قيحا، كبّدوه معاناة وآلاما كثيرة لكن استطاع أن يزيل بعض الغيم عن آفاق الدين واستطاع أن يعطي مؤشرات للمحجّة التي تأخذ بيد الإنسان إلى الله تبارك وتعالى، بعد أمير المؤمنين (ع) تغير الوضع مرة ثانية، الأعمال الدينية موجودة، المساجد تُبنى وتُزيَّن وتُعمَّر من جديد، أناس جُدد يدخلون في الدين يصلّون ويتعلمون مسائل الدين، هنالك محرمات وواجبات، كل هذه الأشياء موجودة، وكما قلت الفتوحات مستمرة في شرق العالم الإسلامي وغربه!

لكن ماذا حصل؟ حصل الدين الخاوي، الدين الذي يربط الإنسان بهذه الدنيا وبإمامة الدنيا أكثر، الدين الذي يجعل من الإنسان ضعيفا أمام كل شيء، في أسفل سافلين! أصبح إلى هذا المستوى فالأشياء كلها تؤثر عليه أصبح في أسفل سافلين، يصلي لكن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر

إلى أن كان عهد الإمام الحسين (ع): (ألا وأن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ولم يبقى منها إلا صبابة)[11]، نفس منطق أمير المؤمنين (ع) ومنطق عن الإمام الصادق (ع): (لم يُعمل بكتاب الله ولا سنة رسوله منذ أن قُبض أمير

---

[10] نهج البلاغة (الخطبة ١٦)

[11] تحف العقول ص٢٤٥

المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه)[١٢]، فالدين بقي موجودا شكلا -كما قلت- لكن الدين الذي يُنتج أمثال المتوكل ينتج أمثال هارون والمأمون، أئمة من هذا القبيل، وكل القلوب المسلمة تلك القلوب التي كان المفروض أن تَكبُر ولا تُكبّر إلا الله وحده، هذه القلوب صارت تنبض في اتجاه هارون: يا ليتني كنت مثله! يا ليتني كنت معه! يا ليتني عشت في قصره! هكذا الوضع الآن

ينقل في رواية أن الإمام القائم (عج) حينما يظهر (إن قائمنا إذا قام استقبل من جهلة الناس أشد مما استقبله رسول الله (ص) من جُهّال الجاهلية، فقلت وكيف ذلك؟ قال إن رسول الله (ص) أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأوّل عليه كتاب الله ويحتج عليه به ثم قال أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر)[١٣] حتى الإمام القائم (ع) حينما يظهر يريدونه أن يُروّج هذا الدين وإلا يُرفض! كثيرون من الناس يرفضون، يقولون هذا دين جديد

إلا أناس قليلون، الإمام القائم حينما يظهر هنالك مجموعة قليلة يعرفون رسالته يعرفون دينه وينتظرون فرجه وفرجهم بهذا الدين الذي يعرفونه، معاناتهم معاناة هادفة يعرفون الخلل أين، الشجرة الخبيثة من أين تتغذى وكيف تتعالج، هذا يعرفونه ويعانون، يعرفون ويرغبون ولأجل هذا أنا أتحدث لنفسي ولكم

المعرفة أساسية وتحتاج رغبة شديدة: اللهم فرّج عني أنا أعاني، أظهِر العدل، وهو يعرف العدل، هذه المجموعة القليلة بالتدريج تتوسع توسعا هرمياً إلى أن تصل إلى أعداد كبيرة، هؤلاء كلهم بدرجة يعرفون رسالة الإمام (عج) ويرغبون في هذه الرسالة، أنت تريد أن تكون من أنصاره حاول أن تُهيئ نفسك، التهيؤ يكون بأن تعرف ما هو الدين الذي يأتي به الإمام القائم (عج)؟ فهو ليس دينا جديدا، لكن القرآن لابد أن تعرفه بطريقة جديدة

والروايات حينما تتحدث عن دين جديد، يعني حسب مقاييس الناس دين جديد، وإلا هو نفس الدين الذي بُعث به النبي (ص) في رواية بأن الإمام القائم (عج) حينما يظهر بمكة ينادي (...أيها الناس من يُحاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، أيها الناس من يُحاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، أيها الناس من يُحاجّني في موسى فأنا أولى الناس بموسى،

---

[١٢] الكافي (٥٣٦/٣)

[١٣] كتاب الغيبة ص٣٠٥

أيها الناس من يُحاجّني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى، أيها الناس من يُحاجّني في محمد (ص) فأنا أولى الناس بمحمد)[١٤] هذا دين النبي (ص) ودين أمير المؤمنين (ع)

الإمام الحسين (ع) قتل لأنهم اعتبروا خروجه خروجا على دين جده (ص) وأنه كان يدعو إلى دين جديد، دين لا تكون فيه الإمامة للمترفين هذا دينٌ لا يُقبل، قُتل على هذا الأساس لكن (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك...) فهو وارث ذلك الخط القديم بقدم تاريخ الإنسان منذ أن خلقه الله تبارك وتعالى، رسول الله (ص) بُعث (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)[١٥] لكن الناس يعتبرونه دينا جديدا

الطريق ميسور ومسلوك، حاول أن تعرف إمامة رسول الله كما كان يعرفها ذلك الإنسان الفقير المعدم حينما طرح عليه مال كثير رفضه وقال أخاف أن يأتيني الشيطان[١٦]، حاول أن تتعرف على ولاية رسول الله من هذه الزاوية، حاول أن تحرر نفسك تكسر كل القيود المفروضة من هنا وهناك وقل: إني أريد أن أرجع إلى ربي وأبدأ من ربي. هذه الموازنة: الله هو الأكبر ثم الإنسان ثم الأشياء، هذا هو أساس العدل، ابدأ من هنا فالمعرفة تنمو في نفسك، ثم الرغبة كذلك تُنمّيها في نفسك وإذا أنت تصبح منتظرا لأمر القائم (ع) فإذا أدركته كنت من أنصاره تجاهد تقاتل في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين

وسوف تعرف الطاغوت وتعرف الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت وتعرف دينهم وتقاتل ذلك الدين وأئمة ذلك الدين، قبل أن يظهر الإمام تقاتل في قرارة نفسك وفي داخل قلبك، هذه هي رغبتك، بمجرد أن تسمع الصيحة تكون هذه الصيحة صيحتك، أنت كنت من مدة تفكر فيها وينبض قلبك لأجلها وإذا هذه الصيحة تؤثر في كل ذرّة من ذرات وجودك لأنها هي كل أمَلك وكل رغبتك فبكل وجودك تسعى إليها، تعرف بأن تلك الصيحة هي صيحة رسول الله (ص) صيحة الأنبياء كلهم صيحة أمير المؤمنين (ع) وصيحة الحسين الشهيد (ع) الذي قُتل لأجلها، هكذا تكون، فإذا أدركته (ع) هكذا تكون وإذا لم تدركه تحشر معه، والحمد لله رب العالمين

---

[١٤] كتاب الغيبة ص١٨٢

[١٥] البقرة:٩٧

[١٦] الكافي (٢/٢٦٢) : (جاء رجل موسر إلى رسول الله (ص) نقيّ الثوب، فجلس إلى رسول الله (ص)، فجاء رجل معسر، درن الثوب، فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله (ص): أخفت أن يمسك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فخِفتَ أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله إن لي قريناً يُزيّن لي كل قبيح ويقبّح لي كل حسن، وقد جعلت له نصف مالي. فقال رسول الله (ص) للمعسر: أتقبل؟ قال: لا. فقال له الرجل: لِمْ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك)